



مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

مؤشرات الفشل الأمريكي في إدارة الملف النووي الإيراني - المغزى والمفهوم

محسن حسن



سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

حقوق النشر محفوظة © 2019

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

مؤشرات الفشل الأمريكي في إدارة الملف النووي الإيراني - المغزى والمفهوم -

محسن حسن *

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى رصد ملامح الموقف الأمريكي من طموحات إيران النووية، والتوصيف الإجمالي لهذا الموقف، من حيث التطورات الحادثة بشأنه عبر الإدارات الأمريكية المختلفة، ولاسيما موقف الإدارة الأمريكية الأحدث بقيادة دونالد ترامب، جنباً إلى جنب، مع تفكيك المتغيرات الأخيرة الناجمة عن توقيع الاتفاق النووي مع دول الـ 5+1، وتدايعات خروج الولايات المتحدة من هذا الاتفاق مؤخراً، ومن ثم تحديد الأوجه والمؤشرات الرئيسة التي يمكن من طريقها تفسير حالة الفشل الأمريكي الذريع في إدارة الملف النووي الإيراني عبر عدة سنوات ماضية وحتى الآن.

الكلمات المفتاحية: (الملف النووي - الأزمة النووية - الانتشار النووي - إيران النووية).

مقدمة

فرض الملف النووي الإيراني -مؤخراً- حالة من الاستنفار الأمني الشامل على المستوى الدولي، وهي الحالة التي استمدت مقوماتها من طبيعة المتغيرات الجذرية الحادثة في التوجهات والإجراءات المعتمدة من قبل السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الأطراف الدولية بصفة عامة، وتجاه إيران بصفة خاصة، وذلك منذ قدوم الرئيس الأمريكي (دونالد ترامب) إلى سدة الحكم، وقد نال الاتفاق النووي الإيراني مع الدول الـ 5+1 نصيباً وافراً من الانتقادات اللاذعة خلال حملته في انتخابات الرئاسة الأمريكية، ليس هذا فقط، وإنما أبدى نيته الصريحة في الخروج من هذا الاتفاق حال فوزه بالمنصب، وهو ما قام به فعلياً خلال شهر آيار من العام الماضي 2018 حينما أعلن "الانسحاب من الاتفاق النووي، وإعادة فرض العقوبات على إيران والتي كانت مطبقة سابقاً قبل توقيع الاتفاق"².

1- كانت إيران قد أبرمت مع خمس دول كبرى هي الولايات المتحدة، روسيا، الصين، بريطانيا، فرنسا، جنباً إلى جنب مع ألمانيا، اتفاقاً تاريخياً في شهر تموز عام 2015 يقضي بالتزامها بخطة العمل المشتركة المتضمنة في هذا الاتفاق، مقابل قيام الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ومجلس الأمن الدولي برفع العقوبات المالية والاقتصادية المفروضة عليها.

2 - انظر: حاتم كريم الفرجي، العقوبات الأمريكية على إيران واحتمالات المواجهة المقبلة، منشورات مركز الرافدين للدراسات (راسام)، يناير 2019، ص 1، متاح على:

<http://rasamcenter.com/wp-content/uploads/2019/01/pdf3.pdf> (بتصرف يسير)

* باحث وكاتب مصري.

وعلى الرغم من تضرر عدة أطراف دولية وإقليمية من طموحات إيران النووية، ورغبة هذه الأطراف في تحجيم تلك الطموحات، إلا أن الخروج الأمريكي المفاجئ والصادم من الاتفاق النووي (5+1)، ألمح بنحو واضح وجلي إلى أن السياسة الأمريكية الجديدة على المستوى الدولي الخارجي، باتت أقرب إلى التأثر بشخصية المجلس على كرسي الرئاسة في البيت الأبيض، منها إلى الالتزام بالقوانين والاتفاقيات الدولية المبرمة تحت إشراف الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي والدول الكبرى؛ الأمر الذي وضع إجماع ومصداقية المجتمع الدولي على المحك، خاصة مع ما تسبب به قرار ترامب الأخير بالانسحاب من الاتفاق النووي، من انقسام دولي عبر الأطلسي قوامه معركتان: "الأولى شرعية-أخلاقية داخل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، باعتبار إمكانية اتهام الولايات المتحدة بانتهاك الاتفاق الدولي المصدّق عليه داخل الأمم المتحدة. والثانية: معركة اقتصادية-تجارية موجهة نحو الخسائر التي ستلحق بالشركات الأوروبية التي تستثمر في إيران منذ إبرام الاتفاق عام 2015، في ظل غلبة القومية الاقتصادية كمحرك نابض لفلسفة ترامب في الحكم"³.

وانطلاقاً من حالة الانفلات الأمريكي الجديدة، والمبنية في مجملها على التوجهات الخاصة والشخصية للرئيس ترامب، بعيداً عن حتمية التقيد أو الالتزام بتوخي الإجماع الدولي تجاه القضايا الإقليمية والدولية كقضية الانتشار النووي والأزمة القائمة والمستمرة مع إيران، تبقى السياسات الخارجية الأمريكية محل جدل كبير على الساحة العالمية، سواء من الناحية الإنسانية والشعبية أو من الناحية الإجرائية والقانونية، وتظل تلك السياسات مكرّسة لحالة الفشل الأمريكي الذريع في حل المشكلات الأمامية والدولية، وخاصة في منطقة الشرق الأوسط، وفي مقدمتها مشكلة إيران النووية، وهو الفشل الذي وصل إلى ذروته في عهد الإدارة الأمريكية الحالية بقيادة دونالد ترامب؛ لذا فقد اهتمت هذه الدراسة، وعبر منهج وصفي تحليلي، بإبراز أهم المؤشرات التي تؤكد عشوائية تناول الإدارة الأمريكية الحالية بقيادة ترامب، للملف النووي الإيراني، والتي توضح أيضاً حجم التداعيات الكارثية التي سببتها هذه العشوائية الأمريكية على المحيطين الإقليمي والدولي من حيث ارتباطهما بهذا الملف الشائك والملغوم، خاصة مع "غياب الممارسة السياسية لترامب في تاريخه المهني وعدم ممارسته للدبلوماسية"⁴.

3 - انظر: محمد الشرقاوي، ترامب والاتفاق النووي الإيراني: تبريرات أمنية أم استراتيجية اقتصادية؟، تقرير مركز الجزيرة للدراسات، بتاريخ 21 مايو 2018، متاح على:

<http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2018/05/180521113043346.html> ، (بتصرف يسير)

4 - انظر: بمضى سليمان، توجهات السياسة الخارجية عند دونالد ترامب (تقدير موقف)، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، مايو 2016، ص 14، متاح على: <https://eipss-eg.org>، مع البحث بالعنوان المذكور.

وقد ارتكزت الدراسة إلى جملة من المنطلقات والفرضيات التي يمكن بلورتها على النحو التالي:

- إن المنطوق النووي الظاهر في التاريخ العسكري الأمريكي، ما يزال يلقي بظلاله السلبية على مصداقية الولايات المتحدة ونزاهتها في التعاطي مع الملف النووي العالمي بصفة عامة والإيراني بصفة خاصة؟
- إن التعاطي الأمريكي مع الملف النووي الإيراني لم يكن إلا مراوفاً وبعيداً عن الجدية والجوهرية في المخيلة الأمريكية، وكذلك على أرض الواقع، كما أنه ظل متأثراً دوماً بطبيعة المصالح السياسية المتأرجحة للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط، ومنطقة الخليج، بما في ذلك المصالح مع إيران نفسها؟
- إن التوازنات المستهدفة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ومنطقة الخليج، كانت دوماً في صالح البرنامج النووي الإيراني على حساب الرغبة الأمريكية في تطوير هذا البرنامج؟
- إن التوظيف الاقتصادي للملف النووي الإيراني من قبل الإدارة الأمريكية الجديدة بقيادة دونالد ترامب، هو التوظيف الأبرز والأكثر غرابة في تاريخ الإدارات الأمريكية المتعاملة مع الملف نفسه خلال سنوات طويلة ماضية.

وعلى وفق الاعتبارات السابقة، فقد تناولت هذه الدراسة موضوعها عبر مدخل ومحورين على النحو التالي:

- ❖ مدخل: واقع المسألة النووية ومستجداتها الدولية الراهنة.
- ❖ المحور الأول: الملف النووي بين التوهم الأمريكي واليقين الإيراني.
- ❖ المحور الثاني: مؤشرات الفشل الأمريكي في إدارة الملف النووي الإيراني.

مدخل

❖ واقع المسألة النووية ومستجداتها الدولية الراهنة

عند النظر في المحصلة الإجمالية للمشهد النووي العالمي في الوقت الراهن، نجد أننا بصدد حالة من التناقض الحاد، بين ما تنطق به الإحصائيات المعلنة والظاهرة بخصوص واقع الانتشار النووي من جهة، وما تؤكدُه الحقائق الميدانية والعملية الخاصة والخفية لدى الدول المهتمة بالسلح النووي من جهة ثانية؛ فالجانب المعلن والظاهر، يمنح اطمئناناً مخادعاً ومراوفاً، مفاده تراجع التهديد النووي العالمي، واستبعاد تمدد السعي الدولي في اتجاه الاستحواذ على المزيد من الرؤوس النووية المهددة للسلم والأمن الدوليين؛ وذلك باعتبار انحسار الصراع النووي بين أكبر قوتين هما الولايات المتحدة وروسيا بعد انتهاء الحرب الباردة بينهما، الأمر الذي يعني -على وفق هذا الاعتبار- إقصاء الاحتمالات الخاصة بنشوب حرب نووية بين هاتين القوتين، وخاصة بعد أن شهدت السنوات الماضية (ظاهراً) تقليص الترسانة النووية في كلا البلدين قياساً بسنوات الحرب الباردة بينهما⁵، هذا إلى جانب معطيات أخرى، قد تبدو مطمئنة، منها استجابة بعض الأطراف الدولية لدعوات واتفاقيات التخلص من الأسلحة النووية، مثل أوكرانيا وكازاخستان وبيلاروسيا من جمهوريات الاتحاد السوفيتي قبل سقوطه، وكان ذلك خلال التسعينيات، إلى جانب دولة جنوب أفريقيا، والتي قامت بتفكيك وتدمير الأسلحة النووية كافة التي كانت لديها⁶. ولكن هذا الجانب الظاهر والمطمئن المشار إليه، يصطدم بالعديد من الحقائق المستقرة على أرض الواقع، التي تؤكد بدورها، أن المسألة النووية على المستوى الدولي، ما تزال تحمل في طياتها بذور انفجارات نووية محتملة، ربما تكون أسوأ بكثير من تلك التي شهدتها مدينتا هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين خلال الحرب العالمية الثانية، وهي جملة الحقائق التي يمكن رصدها في نقاط العرض الآتية:

- ما تزال القوى العظمى الدولية، تمتلك ترسانات متطورة من الأسلحة النووية؛ إذ تستحوذ الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا، وحدهما، على أكثر من 90% من نسبة الأسلحة النووية عالمياً؛ حيث تمتلكان ما يقرب من 2000 رأس نووي، وإلى جانب هاتين القوتين، هناك دول عديدة تمتلك السلاح النووي، كالمملكة المتحدة (بريطانيا)، فرنسا، الصين، إسرائيل،

5 - انظر: أنتوني إم، بارت، الإنذارات الكاذبة، أخطار حقيقية؟.. منظور تحليلي لمخاطر الحرب النووية الأمريكية الروسية غير المتعمدة في الحاضر والمستقبل، تقرير مؤسسة RAND الدولية، ص 1، متاح على: https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PE100/PE191/RAND_PE191z1.arabic.pdf، (بتصرف)

6 - انظر: تيم رايت، تعلم السلام، كيف يستطيع الطلبة تخلص العالم من الأسلحة النووية؟، منشورات الحملة الدولية للقضاء على الأسلحة النووية (2016، ican)، ص 4، متاح على:

<http://www.icanw.org/wp-content/uploads/2012/08/LearnPeaceArabic.pdf> (بتصرف)

الهند، باكستان، وكوريا الشمالية، بإجمالي دولي يقدر بـ 20530 سلاحاً نووياً عبر ما يزيد على مئة موقع حول العالم، هذا إلى جانب بعض الأطراف الدولية التي تستضيف أسلحة نووية أمريكية فوق أراضيها، مثل تركيا، بلجيكا، إيطاليا، هولندا، وألمانيا، مع أكثر من 20 دولة أخرى، تحتمي حقيقة أو تظاهراً بالأسلحة النووية المصنعة في الولايات المتحدة الأمريكية⁷.

• لا يمكن التسليم حقيقةً بتراجع الترسانة النووية الدولية، إلا على المستوى النظري فحسب؛ وذلك لأنه من الناحية العملية والإحصائية، سيكون الأمر في صالح الترسانة النووية الحالية قياساً بنظيرتها أيام الحرب الباردة؛ فرغم الانخفاض الظاهر للأسلحة النووية من 70 ألف سلاح نووي أيام الحرب الباردة إلى 20530 على وفق تقديرات العام 2016، إلا أن الفوارق التقنية والتكنولوجية بين تصنيع الأسلحة النووية الحديثة، والتصنيع القديم، تؤكد تفوق الأسلحة الحديثة من حيث القوة؛ إذ إن "القنبلة النووية الاعتيادية اليوم أقوى 20 إلى 30 مرة من القنبلة المستخدمة في هيروشيما؛ ما يعني بكيفية أخرى، أن ترسانة الأسلحة العالمية حالياً توازي في قوة دمارها 150000 (مئة وخمسون ألفاً) مرة قوة القنبلة الأخيرة ذاتها"⁸.

• تهدد الأوضاع الدولية والإقليمية المتشابكة حالياً، بتهيئة أجواء متطورة ومثالية دافعة إلى رفع لواء السلاح النووي مجدداً بين القوى المالكة لهذا السلاح، وكمثال للحد الأدنى من هذا التهديد، تظل المخاوف المتبادلة بين الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وروسيا من جهة ثانية، ولاسيما تلك النوعية من المخاوف المبنية على تقديرات خاطئة لمنظومة الإنذار المبكر ضد الهجمات الصاروخية، سبباً محتملاً بقوة لاستخدام السلاح النووي مجدداً؛ وعلى سبيل المثال، شهد عام 1983 اقتراب الدولتين من خطر الصراع النووي، وذلك عندما فسرت أجهزة الإنذار الصادرة عن منظومة الصواريخ الروسية (اليد الميتة) على سبيل الخطأ، قيام حلف شمال الأطلسي (الناتو) بمناورة مسماة (الرامي البارح Able Archer)، على أنها تمثل غطاءً لشن ضربة نووية أمريكية⁹.

• باتت ثقافة امتلاك السلاح النووي لدى الذهنية العالمية والدولية، مهيمنة ورائجة؛ وذلك باعتبار أن من يمتلك هذا السلاح، يمتلك بالضرورة أيضاً قوة رادعة تحول دون قيام القوى المعادية بالتفكير في الاعتداء عليه أو الانتقاص من سيادته، وفي ظل هذه الثقافة الرائجة،

7 - المصدر السابق نفسه، ص4 (بتصرف)

8 - المصدر السابق نفسه (بتصرف)

9 - انظر: أنتوني إم باريت، الإنذارات الكاذبة، مصدر سابق، ص: 4 (بتصرف).

أصبح من غير الممكن، تحقيق السيطرة الكاملة على حدود الانتشار النووي، حتى عبر القوانين والاتفاقيات الدولية والأمنية؛ إذ تبقى تلك القوانين والاتفاقيات مرهونة دوماً بتوجهات ورغبات واستراتيجيات القوى الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وليس أدل على ذلك من إصرار الأخيرة، ومعها الدول المالكة للسلاح النووي، على عدم التوقيع على معاهدة حظر الأسلحة النووية التي تبنتها مؤخراً الحملة الدولية للقضاء على الأسلحة النووية (ican)، والتي تم اعتمادها في الأمم المتحدة في السابع من تموز عام 2017 لتجديد "مسارات التخلص من الأسلحة النووية"¹⁰.

• على الرغم من حرص الولايات المتحدة الأمريكية من الناحية التاريخية على تشجيع المؤسسات والهيئات الدولية العاملة في مجال الحد من انتشار الأسلحة النووية، إلا أن الواقع التاريخي أيضاً يؤكد استمرار قناعات الولايات المتحدة الراسخة في عدم جدوى هذه المؤسسات والهيئات فيما يخص ضبط التسليح؛ وهو أمر كان واضحاً في النهج الأمريكي منذ الحرب الباردة، وحتى الآن؛ وعلى سبيل المثال: فإنه "على الرغم من المساندة الأمريكية العامة لضبط التسليح الأمريكي-السوفيتي خلال الحرب الباردة، فإن أصحاب القرار في المؤسسة الدفاعية الأمريكية والكونغرس قد أظهروا شكاً عميقاً لمثل هذه الاتفاقيات لضبط التسليح"¹¹، وما يزال هذا الشك قائماً حتى اللحظة، ولعل قيام الرئيس الأمريكي دونالد ترامب خلال أكتوبر عام 2018، بإعلان انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة عام 1987 مع الجانب الروسي، والمتعلقة بالحد من الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى، يؤكد ذلك، بل ويمنح إشعارات خطيرة بشأن إمكانية إنتاج نسخة ترامبية محدثة للحرب الباردة قد تشهد سباق تسلح جديد بين الغريمين¹².

وخلاصة القول هنا: إن واقع المسألة النووية، وما يحيط بها من مستجدات راهنة، يؤكد أن حلم إخلاء كوكب الأرض من السلاح النووي، هو ضرب من ضروب الخيال، وأن تداعيات الوضع الدولي الراهن، تصب حتماً، ليس في الحد من الانتشار النووي، وإنما في فتح الباب على مصراعيه للتوسع والانتشار النووي؛ على الأقل على المستويين القريب والمتوسط، وذلك استناداً إلى عدة عوامل محفزة، أهمها ما يأتي:

10 - راجع: معاهدة حظر الأسلحة النووية، الموقع الرسمي للجنة الدولية للصليب الأحمر الدولي، متاح على:

<https://www.icrc.org/ar/publication/4398-treaty-prohibition-nuclear-weapons>

11 - انظر: سعد حقي توفيق، الاستراتيجية النووية بعد انتهاء الحرب الباردة، مطبوعات زهران للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2008، ص 219، متاح على: <http://sharekshabab.com/userfiles/nooi.pdf>، (بتصرف)

12 - راجع: شهاب المكاحلة، اتفاقية سنارت وبذور الصراع النووي، رأي اليوم (صحيفة أردنية)، بتاريخ 6 فبراير 2019، متاح على: <https://www.raialyoum.com>، مع البحث بالعنوان المذكور (بتصرف).

- (1) المخاوف التاريخية بين أمريكا وروسيا، ولاسيما من جانب الأخيرة في ظل انسحاب أمريكي من اتفاقيات تاريخية سابقة بين البلدين، وكذلك في ظل توسعات محتملة لحلف الناتو قد تزيد من حدة المخاوف الروسية، على غرار ما حدث عندما انضمت بولندا لحلف الناتو بعد الحرب الباردة؛ الأمر الذي دفع روسيا إلى التفكير في وضع أسلحة نووية تكتيكية في كالينغراد بين لتوانيا وبولندا¹³.
- (2) هشاشة الإجماع السياسي فيما يخص قضية الانتشار النووي، وعدم قدرة المجتمع الدولي على تطوير التجارب النووية للدول، المعلنة منها والسرية، وهو ما يفسر ضعف الموقف الدولي من التجارب والتفجيرات النووية للهند والباكستان، بل واندهاش المجتمع الدولي لفاعلية تلك التجارب، ما يعني "أن قدرات الولايات المتحدة وغيرها، لن تمنع قوة إقليمية تتوافر لديها الإرادة السياسية لبناء ترسانة نووية من تحقيق ذلك"¹⁴.
- (3) ارتباط الانتشار النووي بطبيعة التقدم التكنولوجي الحادث في مجال صناعة وتطوير الأسلحة الأكثر دقة ودماراً، جنباً إلى جنب مع الارتباط برغبات الدول والقوى الكبرى في تحقيق إدارة فاعلة للمساومة والرعب على المستويين السياسي والاستراتيجي ضد الأعداء المحتملين، ثم هناك العامل الاقتصادي والأمني، "وهكذا يبدو بأن الأسلحة النووية لن تختفي في المستقبل المنظور، ما لم تقل فائدتها السياسية ومشروعيتها كوسائل للحفاظ على الأمن"¹⁵.

13 - انظر: سعد حقي، الاستراتيجية النووية...، مصدر سابق، ص 203 (بتصرف).

14 - انظر: غسان العزّي، السلاح النووي بعد الحرب الباردة: نحو المزيد من الانتشار والعمولة، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 26، تشرين الأول 1998، ص 148، و 149، متاح على:

<https://www.lebarmy.gov.lb/sites/default/files/26.pdf> (بتصرف).

15 - انظر: سعد حقي، الاستراتيجية النووية...، مصدر سابق، ص 208 (بتصرف).

المحور الأول

الملف النووي بين التوهم الأمريكي واليقين الإيراني

لعلّ مجموعة الحقائق السابقة بشأن مسألة الانتشار النووي على المستوى الدولي، وما تخللها من إشارات واضحة ومؤكدة، بشأن حتمية إصرار القوى الكبرى على امتلاك السلاح النووي تؤكد -بما لا يدع مجالاً للشك- أن العديد من الخلافات المعلنة بين الدول حول الأنشطة والتجارب النووية، ومنها الأنشطة النووية الإيرانية، هو من قبيل التوجيه والتوظيف السياسي والاستراتيجي رغبة في الحصول على امتيازات خاصة أو تحقيق أهداف الحماية الواجبة للمصالح المشتركة مع الحلفاء والأصدقاء؛ ولعلّ من أكبر الدلائل على ذلك استقرار قناعات القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة، بحتمية تملكها السلاح النووي، وبأن الأطراف الدولية الأخرى المناوئة لها في العالم، لن تتورع عن امتلاك السلاح نفسه، متى ما استطاعت ذلك، هذا إلى جانب، القناعة الراسخة والظاهرة لدى الولايات المتحدة كقوة عظمى أولى وأحادية حتى اللحظة، بعدم جدوى الاتفاقيات الدولية بشأن الحد من انتشار السلاح النووي، وهذا كله مجملاً، يفسر جوهر الموقف الأمريكي من قضايا الانتشار النووي، ولاسيما موقفها من البرنامج النووي الإيراني، الذي تقوم الإدارة الأمريكية الحالية بقيادة دونالد ترامب، بتوظيفه سياسياً واستراتيجياً؛ لإحداث ما تتطلبه توازناتها الخاصة الاستراتيجية، والأمنية، والعسكرية، والاقتصادية في منطقة الشرق الأوسط ومنطقة الخليج، لكن الأسئلة التي تطرح نفسها بقوة ضمن هذا السياق هي: كيف تعاطت الإدارات الأمريكية السابقة مع الملف النووي الإيراني؟ وهل امتلكت الولايات المتحدة الأمريكية يوماً ما رغبة حقيقية في القضاء على البرنامج النووي الإيراني؟ وإلى أي حد نجحت الاستراتيجيات والاستراتيجيات المضادة -المتبادلان بين إيران والولايات المتحدة- في تحقيق الأهداف المتعلقة بهذا الملف لدى كل منهما؟ وما ملامح التعاطي المختلف للإدارة الأمريكية الحالية لدونالد ترامب عن غيرها من الإدارات الأمريكية السابقة بشأن الملف النووي الإيراني؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، يمكننا أولاً التأكيد على جملة الاعتبارات والحقائق التالية:

❖ إن الدول المالكة للسلاح النووي، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، وضعت المجتمع الدولي ضمن حالة من التناقض الصارخ بشأن المخاوف النووية المهددة للسلم والأمن الدوليين؛ وذلك عندما اندفعت تلك الدول نحو مطالبة أطراف دولية عديدة بالحد من

امتلاك هذا السلاح المدمر والخطير، في الوقت الذي تملكته هي فيه هذا السلاح فعلياً، بل ومضت تسعى في تطويره وتقويته، ولذلك "ينتاب الدول غير الحائزة على الأسلحة النووية غضب حقيقي عندما تضغط عليها الدول الحائزة على تلك الأسلحة للالتزام بنظام عدم الانتشار النووي، في حين لا تبدي تلك الدول استعداداً من جانبها للالتزام به"¹⁶.

❖ إن امتلاك إيران للتكنولوجيا النووية من الناحية التاريخية، مصدره في الأساس هو الولايات المتحدة الأمريكية نفسها؛ وكان ذلك نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات وتحديدًا منذ عام 1971، حينما كانت إيران تمثل الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، ولاسيما في منطقة الخليج؛ إذ استطاع الشاه (محمد رضا بهلوي) إقناع الإدارة الأمريكية وقتها بقيادة (ريتشارد نيكسون) بأهمية امتلاك إيران برنامجاً نووياً يضمن تفوقها الاقتصادي والعسكري؛ لتكون قادرة على حماية مصالح واشنطن ومعها باقي المصالح الغربية في تلك المنطقة، وشغل الفراغ الاستراتيجي الذي خلفته بريطانيا جراء انسحابها من الخليج العربي عام 1971، وهو ما رحبت به إسرائيل والولايات المتحدة، وخاصة الأخيرة، كنتيجة منطقية، لرغبتها في توظيف حلفائها ومنهم الحليف الإيراني في القيام بأدوار إقليمية وفق ما عُرف وقتها بمبدأ (الحرب بالوكالة)، وذلك على خلفية الفشل الذريع الذي منيت به العسكرية الأمريكية في حرب فيتنام¹⁷.

❖ أن قدرة الولايات المتحدة الأمريكية على تطوير البرامج النووية للدول غير المالكة للسلاح النووي، أو التي هي في طريقها لامتلاك هذا السلاح، ومعها قدرات الدول الأخرى المالكة للسلاح ذاته ومنها روسيا الاتحادية، آخذة في التراجع والانكماش، وذلك منذ نهاية الحرب الباردة، وإلى الآن، وينطبق هذا حتى على الدول الحليفة؛ إذ أنه "بنهاية الحرب الباردة، وإلى الآن، تضاءلت قدرة كل من القوتين العظميين على منع الانتشار النووي، حتى داخل معسكر كل منهما، وذلك نتيجة تضاؤل أهمية المظلة الأمنية التي توفرها كل منهما وانحسار النفوذ الأمني لهما"¹⁸.

16 - انظر: مهراڤ كامروا، المسألة النووية في الشرق الأوسط: السياق والمعضلات والتناقضات، تقرير مركز الدراسات الدولية والإقليمية بكلية الشؤون الدولية بجامعة جورجتاون، قطر، تقرير موجز رقم 2012.4، ISSN 2227-1694، ص 1، متاح على:

<https://repository.library.georgetown.edu/bitstream/handle/10822/558546/CIRSArabicSummaryReport4NuclearQuestion2012.pdf?sequence=5> (بتصرف يسير).

17 - انظر: الرشدان، عبد الفتاح، والخماش، رنا عبد العزيز، البرنامج النووي الإيراني.. الأبعاد الإقليمية والدولية، منشورات مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، دار جامعة نايف للنشر، الإصدار (640)، الرياض 1439هـ/2017م، ص 53 (بتصرف)

18 - انظر: أشرف عبد الغفار، الانتشار النووي، سلسلة (مفاهيم) الصادرة عن المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة، ص 21، متاح على: <https://www.cia.gov/library/abbottabad-compound/D2/D2B954CDA266FE>

❖ إن جوهر الموقف الدولي بما فيه الموقف الأمريكي من البرنامج النووي الإيراني، هو في حقيقته مرهون بتعاطي طهران مع الانضمام إلى المعسكر الأمريكي وتبني وجهات النظر الأمريكية الحالية في القضايا الدولية والإقليمية، من عدمه، وفي ضوء هذه الحقيقة، يمكن تفسير حالات الصعود والهبوط التي شهدتها وتشهدها العلاقات الأمريكية-الإيرانية منذ نشأتها وحتى اللحظة؛ إذ إن الخلاف بين الطرفين في جوهره "غير مرتبط بامتلاك السلاح النووي من قبل إيران، بقدر ما هو مرتبط بامتلاك دولة غير صديقة للغرب، سلاحاً نووياً"¹⁹.

❖ إن العراق كدولة محورية في منطقة الخليج والشرق الأوسط، يعد طرفاً مشتركاً في إطار الصراع الراهن بين الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وإيران من جهة أخرى، ويقي الملف النووي الإيراني أحد الملفات ذات التأثير العام والشامل على مجريات الوضع العراقي الراهن؛ فالولايات المتحدة تستخدم نفوذها في العراق لإحكام السيطرة على نشاط إيران في المنطقة، والأخيرة بدورها، تستخدم نفوذها المماثل، بل ربما الأقوى، لإعاقة الاستراتيجية الأمريكية المعادية لطهران، بينما يعاني العراق الأمرين جراء هذا التدخل الثنائي في شؤونه، وكذلك جراء العقوبات الأمريكية على إيران، التي تعرض بغداد وجميع المدن العراقية إلى تداعيات اقتصادية وخيمة، وفي كل الأحوال، يبقى العراق محل استقطاب كبير من كلا الجانبين، ولا سيما من جانب إيران²⁰.

وباستطلاع الموقف التاريخي للولايات المتحدة الأمريكية للملف النووي الإيراني، نجد أنه مر عبر مرحلتين: الأولى مرحلة الاحتضان الأمريكي للمشروع النووي، وهي المرحلة التي شهدتها علاقات البلدين منذ 1957 وحتى نهاية سبعينيات القرن العشرين، في إطار ما يعرف بالثورة البيضاء للشاه بهلوي، التي قام خلالها بدعم أمريكي وبمساعدة روسية وصينية وباكستانية" بناء منظمة الطاقة النووية الإيرانية عام 1974، عبر إنشاء أكثر من 20 مفاعلاً ومحطة نووية في إيران"²¹، ثم مرحلة الصدام منذ بداية الثمانينيات وحتى الآن، بفعل التحول الكبير في الأيديولوجية الإيرانية، وسيطرة النظام الديني على البلاد، وهي المرحلة الممتدة حتى الآن، التي شهدت تصاعد الشكوك الأمريكية تجاه الأنشطة النووية الإيرانية، على خلفية العديد من الأحداث كحرب الخليج الأولى والثانية، ثم

19 - انظر: عدنان هياجنة، أزمة الملف النووي الإيراني وسيناريوهات الموقف الأمريكي: دراسة استراتيجية، مجلة دراسات شرق أوسطية، الأردن، مجلد 12، العدد 40/41، 2007، ص 13، متاح على:

<https://eis.hu.edu.jo/deanshipfiles/pub101512304.pdf>

20 - انظر: تقرير الدوحة، ندوة: الاتفاق النووي الإيراني وتداعياته الإقليمية والدولية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 11 نيسان/أبريل 2015، ص 16، متاح على: [https://www.dohainstitute.org/ar/lists/ACRPS-](https://www.dohainstitute.org/ar/lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/document_8656B169.pdf)

PDFDocumentLibrary/document_8656B169.pdf ، (بتصرف يسير)

21 - انظر: عدنان هياجنة، مصدر سابق، ص 13 ، 14 (بتصرف يسير)

أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والتي تمخضت عن قيام الولايات المتحدة "بإدراج إيران ضمن قائمة محور الشر التي صنفتها الاستراتيجية الأمريكية لمكافحة الإرهاب عام 2001، على خلفية العداء الدولي المتزايد تجاه الدول الإسلامية المتهممة بدعم وتمويل الجماعات المتطرفة"²².

ويلاحظ المدقق للنهج الأمريكي في التعاطي مع البرنامج النووي الإيراني، أنه يبني دوماً على معلومات غير دقيقة فيما يتعلق بقدرة إيران الحقيقية على إنتاج القنبلة النووية، وأن هذا التعاطي شائبته -وما تزال تشوبه- ظنون وتوهمات ممتدة؛ بحيث تظل الولايات المتحدة هي الطرف الأضعف معلوماً بهذا الخصوص، في الوقت الذي تظل إيران خلاله، تسير بخطى حثيثة وعملية، نحو تحقيق حلمها الخاص في امتلاك السلاح النووي سلمياً وعسكرياً؛ ففي ظل الظنون الأمريكية الممتدة "وزعت إيران مواقعها النووية في عدة مناطق متباعدة، في أصفهان وآراك ونطنز وقم وخرج ويرد والأهواز وساجهاند، كما قامت إيران بإعداد مواقع بديلة وسرية تحت الأرض، يصعب الوصول إليها، كما يصعب تدميرها مع الوجود القوي والصاروخي للقوات الإيرانية"²³.

ومنذ بدايات الإثارة العلنية على المستوى الدولي لمخاطر البرنامج النووي الإيراني فيما بعد العام 2002، على خلفية اكتشاف وجود منشآت نوويتين سريتين لإيران في نطنز وآراك لتخصيب اليورانيوم وللماء الثقيل، على يد أحد المعارضين الإيرانيين التابعين لمجاهدي خلق خارج البلاد، مروراً بتدويل الملف النووي أوروبا لدى مجلس الأمن الدولي عام 2006 -وإلى الآن- لا يمكن الجزم بوجود نوايا حقيقية ماضية وحازمة للولايات المتحدة الأمريكية، بشأن القضاء على الخطر النووي الإيراني في المنطقة، وذلك على الرغم من الزخم الأمريكي والدولي الحادث بهذا الخصوص؛ فلم تجرؤ الإدارات الأمريكية المختلفة على اتخاذ خطوات عسكرية جادة وحقيقية تجاه إيران النووية، مكتفية فقط بتطبيق عقوبات اقتصادية وتجارية جنباً إلى جنب مع بعض المراسلات الإعلامية الممزوجة بلغة التهديد والوعيد؛ وبالتالي فإن النجاح المتحقق في إدارة الملف النووي حتى اللحظة، لا يحسب للولايات المتحدة الأمريكية أو المجتمع الدولي، وإنما لإيران التي استطاعت في كل مرة أن تحافظ على مسار برنامجها النووي فاعلاً وقوياً، على الرغم من التعرض مراراً وتكراراً للعقوبات الاقتصادية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، ما يعني أن استراتيجيتها المواجهة المتبادلة لا تزال عند حدودها الدنيا، وستظل هكذا إلى حين، ولاسيما "أن مسرح المواجهة العسكرية الأمريكية مع إيران، غير مهيباً سياسياً ولا عسكرياً

22 - انظر: عطوان، خضر عباس، و الحديشي، محمد معزز، العلاقات الأمريكية الإيرانية في عهد الرئيس دونالد ترامب، مجلة مدارات إيرانية، العدد 4 يونيو 2019، المركز الديمقراطي العربي، برلين/ألمانيا، ص 56، 57، متاح على: <https://democraticac.de>، مع البحث بالعنوان المذكور (بتصرف)

23 - انظر: ظاهر، رحمن عبد الحسين، خيارات الاستراتيجية الأمريكية تجاه البرنامج النووي الإيراني، مجلة السياسة الدولية الصادرة عن الجامعة المستنصرية، العراق، العدد 24، 2014، ص 329، متاح على: <https://www.iasj.net/iasjfunc=fulltext&aid=92277>، (بتصرف)

حتى هذه اللحظة، أمام إدارة ترامب، بدليل الانقسام الواضح في مواقف الدول الرافضة للعقوبات الأمريكية، وخاصة الدول الأوروبية وروسيا والصين وتركيا والعراق وبعض الدول الخليجية²⁴.

وعلى وفق ما تبدو عليه المواقف الراسخة للإدارات الأمريكية المختلفة تجاه إيران، بما فيها إدارة دونالد ترامب الحالية، فإن ثمة رغبة أمريكية متكررة في الحفاظ على إيران كحليف محتمل في منطقة الشرق الأوسط، يمكن توظيفه وفق مقتضيات الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة، تماماً كما هي الحال بالنسبة لتوظيف إسرائيل في المنطقة نفسها، لتحقيق أهداف متنوعة، وعلى مستويات عدة، منها السياسي، الأمني، الاقتصادي، وعلى الرغم من التعارض الظاهر بين توظيف إيران، وتوظيف إسرائيل، إلا أن منطق المصلحة المهيمن على مخيلة الإدارات الأمريكية المتعاقبة، ولاسيما مخيلة الإدارة الأمريكية الحالية بقيادة دونالد ترامب، يؤكد هذا التشابه وتلك الرغبة، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى انفراد الإدارة الأخيرة وتميزها عن الإدارات الأمريكية السابقة، في التوظيف الاقتصادي الخاص وغير المسبوق، للملف النووي الإيراني؛ فترامب كرجل أعمال واقتصاد، يجيد اللعب بالورقة النووية الإيرانية، للحصول على المزيد من المصالح الاقتصادية والمالية من خزائن الدول المتوجسة خيفة من برنامج إيران النووي، وعلى رأسها الدول الخليجية، وما تلويحه بمواصلة العقوبات على إيران، وبإمكانية مواجهتها عسكرياً، إلا وسيلة من وسائل استرضاء تلك الدول، يحصل من خلالها على ذريعة تبرر مواصلة الابتزاز المالي وتتمير غلته من المكاسب، ثم هو بعد تحصيل ذلك، على أتم الاستعداد العملي والبرامجي، لأن يتناسى الملف النووي الإيراني برمته، إذ ما عنت له مكاسب أكثر عبر احتضان إيران أو مهادنتها على حساب من قام بابتزازهم سابقاً، وهو ما يؤكد أن الوضع الراهن في المنطقة، ماهو إلا مرحلة من الابتزاز تستهدف معظم دول الخليج، عبر تضخيم الخطر الإيراني، من أجل إرهاب هذه الدول وإجبارها على دفع مئآت المليارات من احتياطياتها المالية، أو الاستدانة من البنوك الأمريكية، ورهن احتياطياتها النفطية والغازية لعقود قادمة إذا اقتضى الأمر²⁵.

24 - انظر: حاتم كريم الفرحي، العقوبات الأمريكية على إيران واحتمالات المواجهة المقبلة، مصدر سابق، ص 6 (بتصرف).

25 - راجع: عبد الباري عطوان، رسالة ابتزاز ترامب لحلفائه السعوديين والخليجيين الأثرياء...، صحيفة رأي اليوم اللندنية، بتاريخ -19 ديسمبر 2017، متاح على: <https://www.raiaiyoun.com>، مع البحث بالعنوان المذكور (بتصرف يسير).

المحور الثاني

مؤشرات الفشل الأمريكي في إدارة الملف النووي الإيراني

قد يبدو للبعض أن ما تقوم به الإدارة الأمريكية الحالية، تجاه أنشطة إيران النووية، من تطويق لإيران عبر تطبيق عقوبات اقتصادية وتجارية ومالية غير مسبوقة، هو في صالح أمن المنطقة والعالم وسلامهما، أو في صالح مكافحة الانتشار النووي العالمي، أو أن هدفه هو إيقاف الطموح النووي الإيراني إقليمياً ودولياً، ولكن المدقق لهذه الإجراءات، على وفق ما تم تناوله سابقاً عبر هذه الدراسة، ووفق ما سيأتي لاحقاً، يتأكد له أن الحاصل غير ذلك؛ فما تقوم به الإدارة الأمريكية الترابية، ليس سوى توظيف عابر للملف النووي الإيراني، لتحقيق أهداف سياسية خاصة بهذه الإدارة وبرئيسها الحالي دونالد ترامب، والدليل على ذلك، هو تعاضم مؤشرات الفشل الأمريكية تجاه هذا الملف الخطير والحساس جداً، قياساً بمؤشرات النجاح الخاصة بتقليص التهديد النووي الإيراني في المنطقة والعالم، وهو ما يتضح من الآتي:

(1) مصداقية مشوشة: ونقصد بالمصداقية المشوشة هنا عدم الصلاحية الأخلاقية للإدارات الأمريكية المختلفة للتعاطي مع الملف النووي لإيران أو لأي دولة بالعالم من الدول الطموحة لامتلاك السلاح النووي، نظراً للطغيان النووي وغير الأخلاقي للولايات المتحدة الأمريكية من الناحية التاريخية، خاصة في ظل إصرارها المتكرر والممتد، على التنصل من اتفاقية منع الانتشار النووي، ما يعني ببساطة أن تظل واشنطن متشككة ضمن الذهنية العالمية والإيرانية؛ فلن ينسى العالم ولا إيران أن الولايات المتحدة هي من اخترع السلاح النووي، وهي أول من أجرى تفجيراً نووياً في 16 يوليو 1945، كما أنها الدولة الوحيدة في العالم التي استخدمت السلاح النووي فعلياً في هيروشيما وناجازاكي، وليس فقط لأغراض الردع²⁶.

(2) استراتيجية منعزلة: فقد بقيت الإدارات الأمريكية المختلفة تتعاطي مع الملف النووي الإيراني بفوقية دبلوماسية واستراتيجية، منعتها من الإشارك الإيجابي لباقي دول العالم بما فيهم حلفائها المقربين، للإسهام الفاعل في الملف ذاته، وعلى سبيل المثال، غاب الدور الأوروبي الفاعل في الملف النووي الإيراني خاصة، وملفات الشرق الأوسط بصفة عامة؛ لأنه لم يتفق مع الرؤية الأمريكية في طرق حل الصراعات الدولية باللجوء إلى الأحادية

26 - انظر: أشرف عبد الغفار، الانتشار النووي، مصدر سابق، ص4 (بتصرف يسير).

والتهديد بالخيار العسكري²⁷، وهذه الاستراتيجية المنعزلة، جسدها إدارة ترامب الحالية، في أفصح صورها، عندما انسحبت بشكل أحادي من الاتفاق النووي (5+1) مع إيران، مؤكدة عزلتها الاستراتيجية والدبلوماسية بعيداً عن الإجماع الدولي، وهو ما تمخض عن "استمرار العمل بالاتفاق النووي وفق صيغة 4+1 بعد الانسحاب الأمريكي، واعتبار ذلك الانسحاب المفاجيء، في ظل الطبيعة الصراعية التي فرضها ترامب على الساحة الدولية، تقويضاً لدور الدبلوماسية الدولية متعددة الأطراف"²⁸.

(3) اختلاف الدوافع وقوتها: فمجملة محصلة الملف النووي حتى اللحظة، يؤكد أن دوافع الولايات المتحدة الأمريكية لإيقاف الطموح النووي الإيراني وتطويره، ليست بقوة الدوافع الإيرانية؛ لتحقيق الطموح نفسه وامتلاك السلاح النووي؛ ففي الوقت الذي تعاملت فيه الإدارات الأمريكية المختلفة، بما فيها إدارة ترامب الحالية مع هذا الملف، باعتباره وسيلة من وسائل تحقيق المصالح الأمريكية الخاصة في المنطقة والعالم، فإن إيران، تعاملت وما تزال تتعامل مع برنامجها النووي، باعتباره أمراً مصيرياً ووجودياً، وغير قابل للمساومة أو المزايدة أو التجميد؛ لذا فإنه يمكن التأكيد على أن الدوافع الأمريكية هشّة ومتغيرة وقابلة للتحول، على وفق اعتبارات المصلحة، بينما الدوافع الإيرانية ثابتة ومستقرة وغير قابلة للتحول؛ لأن الأخيرة (إيران)، ووفق ما يُعرف بـ(عقلية الحصار Siege Mentality) "تعدّ نفسها محاطة بأطماع إقليمية من قبل جيرانها؛ لذا تتخذ إجراءات مصيرية من بينها السعي لامتلاك سلاح نووي، وخاصة في ظل عدم قدرتها على مجاراة السعودية وإسرائيل في مجال التسليح التقليدي لما يستلزمه ذلك من إمكانيات مالية عالية"²⁹.

(4) ضعف المواجهة وقلة المعلومات: فما تزال ردود أفعال الولايات المتحدة الأمريكية خلال مواجهاتها المختلفة مع إيران، فيما يتعلق بالأنشطة النووية ل طهران، تتصف بالضعف وقلة الحيلة واللجوء إلى حل وحيد هو العقوبات الاقتصادية، إلى جانب عدم القدرة على إثبات جازم بقيام إيران بتخصيب اليورانيوم والإعداد لقنبلة نووية، وبالمقابل تمتلك إيران ناصية الردود القوية على الولايات المتحدة؛ وبنظرة مدققة نجد أن عجز الولايات المتحدة عن تقديم أدلة واضحة تدين إيران نووياً "دفع روسيا -على سبيل المثال- إلى عدم المبالاة اتجاه الموقف الأمريكي من البرنامج النووي الإيراني، ومن ثم لم تتوقف عن تصدير الوقود النووي

27 - المصدر السابق نفسه، ص 15 (بتصرف يسير).

28 انظر: أبو القاسم، محمود حمدي، عوامل القوة والضعف في الاستراتيجية الأمريكية تجاه إيران، (دراسة سياسية)، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، ديسمبر 2018، ص 11، 12، متاح على: <https://rasanah-iiis.org/?p=15131>، (بتصرف يسير).

29 - انظر: عدنان هياجنة، أزمة الملف النووي الإيراني ...، مصدر سابق، ص 13، 15 (بتصرف).

إلى محطات إيران النووية³⁰، وإن ضعف المعلوماتية الأمريكية بخصوص مواقع التخصيب النووي، دوماً يربك الحسابات الأمريكية عند أي تفكير في مواجهة عسكرية مع إيران، بينما بالمقابل " تقع كل القواعد العسكرية الأمريكية الـ 36 المتواجدة في البلاد المحيطة بإيران، تحت مرمى الصواريخ الإيرانية، إلى جانب تملك طهران لقوات بحرية متطورة وقادرة على خوض مواجهات بحرية، جنباً إلى جنب، مع احترافية إيران في إمكانية بث الفوضى الإقليمية في منطقة الخليج والشرق الأوسط متى ما أرادت ذلك"³¹، وكل تلك الاعتبارات تصب في إطار القوة الإيرانية والضعف الأمريكي، خاصة مع قدرة إيران على الالتفاف بشأن العقوبات الاقتصادية والتجارية الأمريكية، في ظل سعي دول عديدة نحو إيجاد "آليات بديلة للتعاملات المالية مع إيران بعيداً عن (سويفت)³²، كغرفة المقاصة الأوروبية، وآلية التبادل الصينية أو الروسية"³³، وأيضاً مع عدم قدرة الولايات المتحدة على "تفسير صادرات النفط الإيرانية، التي تشكل 70% من إجمالي صادرات إيران"³⁴.

(5) إضرار عشوائي: فمن أكبر مؤشرات الفشل الأمريكي في التعاطي مع الملف النووي الإيراني، عدم مراعاة ما ستسفر عنه المواجهة الثنائية بين الطرفين، من إضرار كبير بدول وأطراف عديدة في منطقة الشرق الأوسط ومنطقة الخليج على المستويين الاقتصادي والأمني؛ فعلى سبيل المثال، يعد العراق من أكبر المتضررين اقتصادياً وأمنياً جراء هذه المواجهة؛ فالولايات المتحدة لا تأخذ بالحسبان سلبات العقوبات الاقتصادية على إيران وأثرها على الاقتصاد العراقي المرتبط بشراكات اقتصادية وتجارية ومالية مع إيران، بل إن الإدارة الأمريكية الحالية بقيادة ترامب لم تتورع عن المساس بالسيادة العراقية، وذلك عندما أعلن ترامب قيامه بتوظيف التواجد الأمريكي في العراق لمراقبة إيران³⁵.

(6) القراءة والقراءة المضادة: فمن الواضح أن القراءة السياسية والاستراتيجية المتبادلة بين الطرفين، كل طرف تجاه الآخر، تتسم بوضوح الرؤية لدى إيران، وضعفها وضبايتها

30 - انظر: ظاهر، رحمن عبد الحسين، خيارات الاستراتيجية الأمريكية تجاه البرنامج النووي الإيراني...، مصدر سابق، ص 323 (بتصرف).

31 - انظر: حاتم كريم الفرجي، العقوبات الأمريكية على إيران واحتمالات المواجهة المقبلة، مصدر سابق، ص 2، 11 (بتصرف).

32 - جمعية سويفت هي شبكة تحويلات مالية وسيطة ومتحكمة في الصفقات المالية الدولية، تأسس نظامها عام 1973 من 248 بنكاً عبر 19 دولة، وهو حالياً يشمل عشرة آلاف منظمة مالية عبر أكثر من 210 من الدول، ومن أهم أعضاء هذه الشبكة ما يسمى بمنظومة البنوك المركزية الست المسماة: G6، والتي تمثل بنوك المنظومة المالية الغربية (البنك الفيدرالي الأمريكي، المركزي الأوروبي، بنك إنجلترا، البنك الياباني، البنك السويسري، والبنك الكندي).. لمزيد من المعلومات ينظر: شبكة النبا المعلوماتية على الرابط: <https://m.annabaa.org/arabic/economicreports/17183>.

33 - انظر: أبو القاسم، محمود حمدي، عوامل القوة والضعف في الاستراتيجية الأمريكية تجاه إيران، مصدر سابق، ص 12 (بتصرف).

34 - المصدر السابق نفسه، نفس الصفحة (بتصرف).

35 - انظر: حاتم كريم الفرجي، العقوبات الأمريكية على إيران واحتمالات المواجهة المقبلة، مصدر سابق، ص 11 (بتصرف).

لدى الولايات المتحدة، وهو أمر واضح ومسلّم به في ظل "عدم قيام الولايات المتحدة بتطوير سياسة خارجية تجاه إيران منذ الثورة الإيرانية وحتى الآن"³⁶، على عكس إيران التي تحترف التعاطي مع الإدارات الأمريكية المختلفة، على خلفية ثبات طموحاتها السياسية والاستراتيجية والنووية، وحالياً تدرك طهران أن الوقت ليس في صالح الرئيس ترامب كي يقوم بالتورط في مواجهة عسكرية معها، وأنه "لا يريد مشاركة عسكرية أمريكية طويلة الأمد في الشرق الأوسط"³⁷، ولا سيما مع عدم وجود إجماع دولي تجاه العقوبات التي وقعها على إيران بعد انسحابه من الاتفاق النووي مؤخراً، "لا سيما وأن الوكالة الدولية للطاقة الذرية أكدت في ثلاثة عشر تقريراً حتى نوفمبر 2018 التزام إيران بنود الاتفاق النووي"³⁸.

(7) توقعات ونتائج عكسية: ومما يدل على فشل الإدارات الأمريكية المختلفة، ومعها الإدارة الحالية بقيادة دونالد ترامب، فيما يخص الملف النووي الإيراني، أن التوقعات والنتائج المتحصلة كافة منذ نشأة المواجهة وحتى الآن، تصب في إطار من التوقعات والنتائج العكسية ليس لما تريده الولايات المتحدة فقط، وإنما لما يريده حلفاء الولايات المتحدة من دول المنطقة، وخاصة حلفاء الخليج، على الرغم من دفع الفواتير الاقتصادية والمالية الباهظة لإدارة ترامب؛ فبالنظر إلى الوضع الراهن، وفي ظل توقعات بقدم وافد جديد إلى البيت الأبيض بخلاف ترامب خلال انتخابات رئاسية قريبة، فإن إيران أمامها فرص واعدة محتملة لتعظيم دورها الإقليمي في المنطقة؛ إذ بات بإمكانها توظيف هذا الدور لمساومة المتضررين منها، تارة عبر التهديد الملاحي المباشر، وتارة أخرى عبر فتح قنوات اتصال دبلوماسي لإقضاء الغريم الأمريكي من المشهد الإقليمي على أكثر من صعيد، والأخطر من ذلك، أنه بات بإمكان طهران "تخصيب اليورانيوم وإنتاج مخزون سادس فلوريد اليورانيوم بنسب عالية تتجاوز المسموح به حالياً، أي 3.67% من اليورانيوم 235، وقد تتمكن طهران من بناء قدرات تتجاوز العتبة النووية عبر تخزين كميات كبيرة من المواد الانشطارية وفق ما يُعرف بالنموذج الياباني"³⁹.

36 - انظر: عدنان هياجنة، أزمة الملف النووي الإيراني وسيناريوهات الموقف الأمريكي، مصدر سابق، ص 13 (بتصرف).

37 - انظر: أبو القاسم، محمود حمدي، عوامل القوة والضعف في الاستراتيجية الأمريكية تجاه إيران، مصدر سابق، ص 14.

38 - المصدر السابق نفسه، ص 12.

39 - انظر: حاتم كريم الفرحي، العقوبات الأمريكية على إيران واحتمالات المواجهة المقبلة، مصدر سابق، ص 9 (بتصرف يسير).

استنتاجات الدراسة

بناء على العرض السابق، يمكننا استنتاج الآتي:

- (1) اتفاقيات الحد من الانتشار النووي مهددة بالصورية وعدم التفعيل الواقعي والميداني في ظل تراجع الأمن والسلم الدوليين، وكذلك تراجع الغطاء الأمني الذي توفره الدول القوية للدول الضعيفة، إلى جانب ما يمثله إصرار الدول المالكة للسلاح النووي وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، من إثارة للمخاوف وتكريس لعدم المصادقية.
- (2) التراجع الإحصائي بالترسانة النووية للولايات المتحدة الأمريكية وروسيا كونهما القوتين النوويتين الأعظم في العالم، هو تراجع مخادع ويحمل تطمينات سطحية ظاهرة، ومخاوف حقيقية وخطيرة باطنة، في ظل التعاضم النوعي والتكنولوجي للأسلحة النووية الحديثة التي هي أكثر فتكاً وتدميراً بدرجات غير مسبوقة قياساً بالسلاح النووي القديم.
- (3) احتمالية تكرار كوارث نووية شبيهة بقبليتي هيروشيما وناجازاكي، قد تكون واردة على مستوى العلاقات المتبادلة بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا الاتحادية، على وجه الخصوص، وذلك في حال استمرار النهج العدائي والتخلي عن الدبلوماسية للرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب تجاه الأطراف الدولية، وأيضاً في حال تعاضم التراجع التكنولوجي والأخطاء التقنية داخل منظومة الإنذار المبكر لدى القوتين النوويتين الأعظم، بالتزامن مع ازدياد المخاوف والشكوك المتبادلة بين الطرفين، ولاسيما لدى القوة النووية الروسية.
- (4) ارتباط السلاح النووي بثقافة ردع الأعداء وتحقيق الهيمنة والقوة الإقليمية والدولية، إلى جانب القناعات الراسخة لدى القوى الدولية، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، بعدم جدوى الاتفاقيات الخاصة بالحد من الانتشار النووي، فضلاً عن غياب الديمقراطية الدولية ضمن القضايا والنزاعات المنتشرة بطول الأرض وعرضها، هي أسباب منطقية في تغذية الرغبات الدفينة للدول غير المالكة للسلاح النووي، نحو السعي لامتلاك هذا السلاح ولو بطرق ملتوية وغير مشروعة.
- (5) الطموح النووي الإيراني تعاضم واكتملت ملامحه بمساعدة واشنطن، وكنتيجة طبيعية لقيام الولايات المتحدة الأمريكية بالتوظيف السياسي للملف النووي، تارة باحتواء طهران، وتارة أخرى بالصدام معها، وذلك في ضوء الرغبة في تحقيق مصالح وأهداف أمريكية خاصة

في منطقة الشرق الأوسط ومنطقة الخليج والعالم، وهو ما سمح لإيران بالتوظيف السري المعاكس للنهج الأمريكي، ولكن لصالح برنامجها النووي، ولا سيما في ظل إهمال البيت الأبيض تطوير سياسة خارجية منضبطة تجاه النظام الإيراني.

(6) التوازنات الدولية والإقليمية الراهنة، ومعها الضعف المعلوماتي الأمريكي بشأن أنشطة إيران النووية ومنشآتها السرية للتخصيب، إلى جانب معوقات وتحديات المضي قدماً في الانخراط ضمن مواجهة عسكرية مع طهران، بالإضافة إلى حيوية النفوذ الإيراني الإقليمي والدولي كقوة سياسية ونفطية، كل هذا مجملاً، أضعف الخيارات الأمريكية الراهنة أمام الملف النووي، مقابل تعدد الخيارات الإيرانية وتنوعها، بين ضرب المصالح الأمريكية بشكل مباشر أو عبر حلفاء مخفيين، أو على الأقل امتلاك القدرة على الالتفاف حول العقوبات الاقتصادية والتجارية والمالية، مع استمرار السير الحثيث ضمن آفاق الطموح النووي.

(7) المواجهة العسكرية بين الولايات المتحدة وإيران على خلفية الملف النووي، أمر مستبعد في الوقت الراهن، وخاصة في ظل الفرص الضيقة المتاحة لإدارة دونالد ترامب، وقرب انصرافه الراجح بعيداً عن البيت الأبيض، وإن تحقيق مكاسب اقتصادية ومالية وتجارية عبر توظيف ملف إيران النووي، يأتي على رأس أولويات الرئيس الأمريكي الحالي، وليس مواجهة إيران عسكرياً أو حتى تقليص برنامجها النووي، فضلاً عن القضاء عليه بالكلية.

(8) التكنولوجيا الأمريكية المتطورة، والتفوق العسكري في القوة والعتاد، ليسا كافيين، لا على مستوى الولايات المتحدة، ولا على مستوى الدول المالكة للسلاح النووي، لإيقاف الأنشطة النووية للدول الطامحة لامتلاك السلاح النووي، يدل على ذلك تجارب عديدة، أهمها التجربة الهندية والباكستانية، اللتان فاجأتا العالم بالمستوى النووي المتقدم لدى كل منهما، في غفلة من المتربصين الأقوياء.

(9) العراق ودول الخليج، ضمن أكبر المتضررين من انسحاب الولايات المتحدة الأخير من الاتفاق النووي، وكذلك من فرض العقوبات مجدداً على طهران، وهذا الضرر مرده إلى أنانية أمريكية غالبية في التعامل مع مصالحها الخاصة عبر الملف النووي وعبر ما يرتبط به من ملفات أخرى شائكة تعج بها المنطقة.

توصيات الدراسة

- 1) ضرورة أن تقوم الولايات المتحدة الأمريكية بإثبات جديتها في التعامل مع الأخطار النووية المهددة للسلم والأمن الدوليين، ولكن على أن يتم ذلك عبر التوقيع المباشر على اتفاقية الحد من الانتشار النووي، وترك الإصرار على إغفال هذا التوقيع، مع إبداء قناعاتها بجدوى الاتفاقيات الدولية في الحد من هذه الظاهرة.
- 2) ضرورة أن تقوم القوى النووية الكبرى باستعادة زخم العدالة والديمقراطية في العالم الحديث، والمضي قدماً في تحقيق الحماية الأمنية العادلة للمجتمعات الضعيفة، على وفق الدساتير والمواثيق الدولية والأممية، كخطوة أولى نحو تبني الأنشطة السلمية للطاقة النووية، وترك ما عداها من سباقات التسلح النووي، حتى يعود المجتمع الدولي إلى حظيرة السلام والأمن.
- 3) ضرورة أن تقوم الإدارة الأمريكية الحالية بقيادة الرئيس دونالد ترامب بتجميد انسحابها من الاتفاق النووي، كخطوة مهمة في طريق إحياء الدبلوماسية الدولية متعددة الأطراف، وكمحاولة جادة لإثبات الرغبة في وضع حلول لإشكاليات الأحادية الأمريكية المهيمنة على القرار الدولي العالمي.
- 4) ضرورة أن تقوم دول الخليج وإيران بتدشين حوار فاعل وإيجابي بشأن طبيعة العلاقات الأمنية والسياسية والاستراتيجية المتبادلة، على أن يقوم هذا الحوار على أسس واقعية وميدانية جادة، من الرغبة في التفاعل السياسي والاقتصادي، بعيداً عن لغة التهديد والوعيد سياسياً وعسكرياً، ولغة الفرقة والخلاف مذهبياً وعقدياً، ولن يكون ذلك إلا عبر إيجاد صيغة برامجية متوازنة، تحفظ السيادة، وتشجع على المزيد من مبادرات حسن الجوار.

خاتمة

في ختام هذه الدراسة، يمكننا القول إن معالجة الملفات الشائكة على المستوى الدولي، ليس شرطاً أن تتم على أيدي الكبار من المجتمعات والدول، فهذه هي الولايات المتحدة الأمريكية، قوة عظمى تكرر ضعفها في علاج ملف من أخطر الملفات المهددة لأمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط ومنطقة الخليج، وذلك لأن العلاجات الناجعة لا بد وأن تستند إلى (معالج قدوة)، يقدم الدلائل الحاسمة على أنه قادر أولاً على تقديم علاجات لنفسه ولأدوائه قبل أن يقحم نفسه في تقديمها للآخرين، فإذا ما فعل، وأثبت جدارته ونزاهته وصدقه، حينها سيجد آذاناً صاغية لنصائحه، وأبداناً مستسلمة لطلبه وعلاجاته، وهو ما لم تقم به الإدارات الأمريكية المختلفة منذ سنوات طويلة.

المصادر:

- (1) أبو القاسم، محمود حمدي، عوامل القوة والضعف في الاستراتيجية الأمريكية تجاه إيران، (دراسة سياسية)، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، ديسمبر 2018: <https://rasanah-iiis.org/?p=15131>
- (2) أشرف عبد الغفار، الانتشار النووي، سلسلة (مفاهيم) الصادرة عن المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، القاهرة: https://www.cia.gov/library/abbottabad-compound/D2/D2B954CDA266FE372BFBD3B0E31F8D18_%D9%85%D9%81%D9%87%D9%88%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%AA%D8%B4%D8%A7%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%88%D9%88%D9%8A_%D8%A3%D8%B4%D8%B1%D9%81_%D8%B9%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%BA%D9%81%D8%A7%D8%B1_%D8%B9%D8%A8%D8%AF%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%AF%D8%B1.pdf
- (3) أنتوني إم، باريت، الإنذارات الكاذبة، أخطار حقيقية؟.. منظور تحليلي لمخاطر الحرب النووية الأمريكية الروسية غير المتعمدة في الحاضر والمستقبل، تقرير مؤسسة RAND الدولية: https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PE100/PE191/RAND_PE191z1.arabic.pdf
- (4) تقرير الدوحة، ندوة: الاتفاق النووي الإيراني وتداعياته الإقليمية والدولية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، 11 نيسان/أبريل 2015: https://www.dohainstitute.org/ar/lists/ACRPS-PDFDocumentLibrary/document_8656B169.pdf
- (5) تيم رايت، تعلم السلام، كيف يستطيع الطلبة تخليص العالم من الأسلحة النووية؟، منشورات الحملة الدولية للقضاء على الأسلحة النووية (ican)، 2016: <http://www.icanw.org/wp-content/uploads/2012/08/LearnPeaceArabic.pdf>

- (6) حاتم كريم الفرحي، العقوبات الأمريكية على إيران واحتمالات المواجهة المقبلة، منشورات مركز الرافدين للدراسات (راسام)، يناير 2019: <http://rasamcenter.com/wp-content/uploads/2019/01/pdf3.pdf>
- (7) الرشدان، عبد الفتاح، والخماش، رنا عبد العزيز، البرنامج النووي الإيراني.. الأبعاد الإقليمية والدولية، منشورات مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، دار جامعة نايف للنشر، الإصدار (640)، الرياض 1439هـ/2017م
- (8) سعد حقي، توفيق، الاستراتيجية النووية بعد انتهاء الحرب الباردة، مطبوعات زهران للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2008، ص 219: <http://sharekshabab.com/userfiles/nooi.pdf>
- (9) ظاهر، رحمن عبد الحسين، خيارات الاستراتيجية الأمريكية تجاه البرنامج النووي الإيراني، مجلة السياسة الدولية الصادرة عن الجامعة المستنصرية، العراق، العدد 24، 2014: <https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=92277>
- (10) عدنان هياجنة، أزمة الملف النووي الإيراني وسيناريوهات الموقف الأمريكي: دراسة استراتيجية، مجلة دراسات شرق أوسطية، الأردن، مجلد 12، العدد 40/41، 2007: <https://eis.hu.edu.jo/deanshipfiles/pub101512304.pdf>
- (11) عطوان، خضر عباس، و الحديثي، محمد معزز، العلاقات الأمريكية الإيرانية في عهد الرئيس دونالد ترامب، مجلة مدارات إيرانية، العدد 4 يونيو 2019، المركز الديمقراطي العربي، برلين/ألمانيا: <https://democraticac.de>
- (12) غسان العزّي، السلاح النووي بعد الحرب الباردة: نحو المزيد من الانتشار والعولمة، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد 26، تشرين الأول 1998: <https://www.lebarmy.gov.lb/sites/default/files/26.pdf>
- (13) محمد الشرفاوي، ترامب والاتفاق النووي الإيراني: تبريرات أمنية أم استراتيجية اقتصادية؟، تقرير مركز الجزيرة للدراسات، مايو 2018: <http://studies.aljazeera.net/ar/reports/2018/05/180521113043346.html>

- (14) مهراڤ كامروا، المسألة النووية في الشرق الأوسط: السياق والمعضلات والتناقضات، تقرير مركز الدراسات الدولية والإقليمية بكلية الشؤون الدولية بجامعة جورجتاون، قطر، تقرير موجز رقم 4، ISSN 2227-1694، 2012. <https://repository.library.georgetown.edu/bitstream/handle/10822/558546/CIRSArabicSummaryReport4NuclearQuestion2012.pdf?sequence=5>
- (15) يمى سليمان، توجهات السياسة الخارجية عند دونالد ترامب (تقدير موقف)، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، مايو 2016. <https://eipss-eg.org>